بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة أيا محسني أُثني عليك وأشكرُ

(من كتاب كرامات الصادقين)

أيا محسني أُثني عليك وأشكرُ ... فدًى لك روحي أنت تُرسي ومأزَرُ

بفضلك إنا قد غلبنا على العِدا ... بنصرك قد كُسِرَ الصليب المبطِّرُ

فتحتَ لنا فتحا مبينا تفضُّلا ... بفوجٍ إذا جاؤوا فزَهق التنصُّرُ

قتلتَ خنازير النصارى بصارمٍ ... وأردى عِدانا فضلُك المتكَثِّرُ

بوجهك ما أنسى عطاياك بعده ... وفي كل نادٍ نبأُ فضلِك أذكُرُ

تلبّيك روحي دائما كلَّ ساعة ... وإنك مهما تَحْشُرِ القلبَ يَحْضُرُ

وتعصمني في كل حرب تَرَحُّمًا ... فدًى لك روحي أنتَ دِرعي ومِغْفَرُ

ينوّر ضوءُ الشمس وجهَ خلائقٍ ... ولكن جناني من سناك يُنوَّرُ

تحيط بكُنْهِ الكائنات وسِرِّها وتعلم ما هو مستبان ومُضمَرُ

ونحن عبادك يا إلهي وملجأي نخِرُّ أمامك خشيةً ونكبِّرُ

نَصَرتَ لإفحام النصارى قريحتي وهدَّمتَ ما يُعلي الخصيمُ ويعمُرُ

وأخذتَهم وكسرتَ دَأْيًا مُنَضَّدًا وأتممتَ وعدكَ في صليب يُكَسَّرُ

فسبحان مَن بارى لنصرة دينه وأخزى النصارى فضلُه المتكَثِّرُ

سقاني من الأسرار كأسا رَوِيَّةً وإن كنتُ مِن قبل الهدى لا أعثُرُ

غيورٌ يبيد المجرمين بسخطه غفورٌ ينجّي التائبين ويغفرُ

وحيد فريد لا شريك لذاته قويٌّ عليٌّ مستعان مُقدِّرُ

له الملك والملكوت والمجد كله وكلٌّ له ما بان فينا ويظهَرُ

ودودٌ يحبّ الطائعين ترحّمًا مليكٌ فيُزعِج ذي❶ شِقاق ويحصِرُ

يحيط بكيد الكائدين بعلمه فيهلك من هو فاسق ومزوِّرُ

ولم يتخذ ولدًا ولا كفوٌ لهُ وحيد فريد ما دناه التكَثُّرُ

ومن قال إن له إلها قادرا سواه فقد نادى الردى ويُدمَّرُ

---

❶ سهو، والصحيح: "ذا". (الناشر)

وبشّرني قبل الجدال بلطفه فقال لك البشرى وأنت المظفَّرُ

ففاضتْ دموع العين مني تذللا وقصدتُ "عَنْبَرْسَر" وقَطْريَ يَمْطُرُ

فجئتُ النصارى في مقام جلوسهم فتخيَّروا منهم خصيما وأنظُرُ

وظلَّ النصارى ينصرون وكيلَهم وكُلٌّ تسلَّحَ صائلا لو يقدِرُ

رأيتُ مُبارزهم كذئب بظُلمه يصول على سبل الهدى ويزوِّرُ

فخاصمَ ظلما في ابن مريم واجترا على الله فيما كان يهذي ويهجُرُ

وقال: له ولدٌ.. مسيحُ ابن مريم فسبحان ربّ العرش عمّا تصوروا

وقال بأن الله اسم ثلاثة أب وابنه حقا ورُوحٌ مطهَّرُ

فقلتُ له اخْسَأْ ليس عيسى بخالق وخالقُنا الرب الوحيد الأكبرُ

أتُثبتُ في مُلك له مِن بريَّةٍ من الأرض أو هو في السماء مدبِّرُ

وإن على معبودك الموتَ قد أتى وإلهنا حي ويبقى ويَعْمَرُ

وليس لمستغنٍ إلى الابن حاجةٌ وحاشاه ما الأولاد شيئًا يوقِّرُ

أعيسى الذي لا يعلم الغيب ذرة إله وتعلَم أنه لا يَقْدِرُ

فأثنى على إبليس بالعلم والهدى وقال هو الشيخ الذي لا يُنكَّرُ

ويؤمن بالابن الوحيد تيقُّنًا ومذهبه مثل النصارى تَنصُّر

فقلتُ له يا أيها الضال مِن هوًى أُثْني على غولٍ يُضل ويُدخِرُ

وما كان حامِدَه بصيرٌ قبلكم ولكنكم عُمْيٌ فكيف التبصُّرُ

فما تاب من هذيانه وضلالهِ وكان كدجّال يُداجي ويمكُرُ

وكم من خرافات وكم من مَفاسدٍ تقوَّلَ خبثًا ذلك المتنصرُ

وقال لي إن الله خَلْقٌ وخالقٌ ومسيحُنا عبد وربٌّ أكبرُ

فقلتُ له يا تارك العقل والنهى إله وعبد؟ ذاك شيء منكَرُ

إذا قلّ دين المرء قلّ قياسه ومن يؤمَنْ يُرشده عقل مطهَّرُ

وإني أرى في خبطِ عشواء عقولَكم تقولون ما لا يفهم المتفكِّرُ

وإني أراكم في ظلام دائم وما في يديكم من دليل ينوِّرُ

وإن هو إلا بدعة غير ثابت وإثباته مستـنكَرٌ متعذِّرُ

تعرف في الصحف القديمة مثله وقد جاء هدي بعد هدي ومنذِرُ

أناجيل عيسى قد عفتْ آثارها وحرّفها قوم خبيث مُعيّرُ

نبذتم هدايته وراء ظهوركم وهذا من الشيطانِ هديٌ آخرُ

أقمتم جلال الله في رُوحِ عاجزٍ وهيهات لا والله بل هو أحقَرُ

فقير ضعيف كالعباد وميّت نعَمْ من عباد الله عبدٌ مُعزَّرُ

وإن شاء ربي يُبْدِ ألفًا نظيرَه وأرسلني ربي مثيلا فتنظُرُ

وقد اصطفاني مثل عيسى ابن مريم فطوبى لمن يأتينِ صدقا ويبصرُ

أنبيُّنا مَيْتٌ وعيسى لم يمت؟ أَجَزْتم حدودًا يا بني الغول فاحذروا

تُوفِّي عيسى هكذا قال ربنا فلا تهلكوا متجلدين وفكِّروا

أتتخذ العبد الضعيف مهيمنا؟ أتعبد ميتا أيها المتنصرُ؟

ألا إنه عبد ضعيف كمثلنا فلا تَتَّبِعْ يا صاحِ قوما خُسِّروا

ووالله يأتي وقت تصديق كلمتي ويبدي لك الرحمن ما كنت تُضمِرُ

فلا تسمعَنْ مِن بعد ذئبا وعقربا يصول بوثبٍ أو تدِبّ وتَأْبِرُ

مقامي رفيع فوق فكرِ مفكِّر وقولي عميق لا يليه المصعِّرُ

إذا قلّ علم المرء قلّ اعتقاده وما يمدَحَنْ حسنًا ضريرٌ معذَّرُ؟

ألا رُبَّ مجد قد يُرى مثل ذلّة إذا ما تعالى شأنه المتستِّرُ

ألم تعلمَنْ أني جريٌّ مبارز وإن كنت في شك فبارِزْ فنحضُرُ

وبارزتُ أحزاب النصارى كضيغم بأيدٍ وفي اليمنى حُسامٌ مشهَّرُ

وما زلتُ أرميهم برمحٍ مُدَرَّبٍ إلى أن أبان الحقُ والحقُ أظهَرُ

وإنا إذا قمنا لصيدِ أوابدٍ فلا الظبي متروك ولا العَيْرُ يُنظَرُ

وقتل خنازير البراري وخَرْشُهم أَشاشٌ لقلبي بل مرام أكبرُ

وفي مُهجتي جيشٌ وأزعم أنه يكافئ جيشَ القِدْرِ أو هو أكثرُ

إذا ما تَكلّمنا وبارَى مخاصمي ولاحت براهيني كنار تزهَرُ

فأُوْحِس مبهوتا وأيقنتُ أنني نُصرتُ وأيّدني قديرٌ مظفِّرُ

وأدركتُه في حمئةٍ فدعوتُه إلى مشربٍ صافٍ وماء يُطهِّرُ

فردَّ عليّ بباطلات من الهوى ووالله كان كذي ضلال يزوِّرُ

وقال لعيسى حصّةٌ في التألُّهِ وفي هذه سِرٌّ على العقل يعسُرُ

وإن ابن مريم مَظهرٌ لأب له فنحسبه ربا كما هو يُظهِرُ

فقلتُ له هذا اختلاق وفِرية وما جاء في الإنجيل ما أنت تذكرُ

وإن إلهك مات واللهُ سرمدٌ قديم فلا يفنى ولا يتغيرُ

وما لا يُحَدُّ فكيف حُدِّد كالورى ووجه المهيمن مِن مَجالي مُطهَّرُ

وليس تُقاس صفاته بصفاتنا ولا يدركه بصر ولا مَن يُبصِرُ

تعالتْ شؤون الله عن مبلغ النهى فكيف يصوِّر كُنْهَه متفكِّـرُ

وإن عقيدتكم خيال باطل وما في يديكم مِن دليل يوفَّرُ

وللخَلق خلّاقٌ فتَدَعون ذكرَه وتَدْعون مخلوقا ولم تتفكروا

ومن ذاق من طعم المنايا بقولكم فكيف كحيٍّ سرمدٍ يُتصوَّرُ

وقد نوَّر الفرقانُ خَلْقا بنوره ولكنكم عُمي فكيف أُبَصِّرُ

ألا إنه قد جاء عند مفاسدٍ إذا ما انتهى الليلاء فالصبح يجشرُ

تُرى صورةُ الرحمن في خِدْرِ سُوْرِه فهل من بصير بالتدبر ينظُرُ

تراءى لنا الحق المبين بقوله وآياته دُرَرٌ ومِسكٌ أَدْفَرُ

قُلِ الآن هل في كتبكم مثل نوره وفكِّرْ ولا تعجل ونحن نُذكِّرُ

وإن كنتَ تزعم أن فيها دلائلا فجهلك جهلٌ بيّن ليس يُستَرُ

وإن قلتَ آمنّا بما لا نعقل فهذا الهدى عند النهى مستنكَرُ

وسَلِ اليهودَ وسَلْ أكابر قومهم أَسُلِّمَ فيهم ابنُك المتخَيَّرُ

ومهما يكن في كُتْبكم ذِكْرُ عجزه وإنْ خِلتَه يخفى على الناس يظهَرُ

جِعارُك خيطٌ فاتّقِ البئرَ والردى ... أللموت يا صيدَ الردى تتجَعَّرُ

أقلبك قلبٌ أو صَلايَةُ حَرَّةٍ ... أجهلُك جهل أو دخان مُغبَّرُ

أكلتَ خُشارةَ كل قوم مُبْطلٍ ... فتأكل ما أكلوا ولا تتخَفَّرُ

أباريتَ يا مسكين ذا الرمح بالعصا ... وأنَّى أَجارِدُنا وأنَّى مِحْمَرُ

أترغب عن دين قويم منوّر ... وتتبَع دينًا قد دَفاه التكدُّرُ

وإن لم تداور جُشْرَة البخل والهوى ... فتَهْوِ نحيفا في الهُلاس وتخطُرُ

وإني كماء عند سِلْم وخُلَّة ... وفي الحرب نارٌ جَعْظَرِيٌّ مُتَعْجِرُ

إذا ما نصبنا في مواطنَ خيمةً ... فلا نرجعَنْ عند الوغا ونُجَمِّرُ

ولو ابتهرتَ وقلت إني ضيغم ... ففي أعيني ما أنت إلا جَوْدَرُ

ألا أيها الصيد الركيك الأعورُ ... إلامَ تُحامي عنك سهمي وتَأفِرُ

أعيسى الذي مات ربٌّ وخالق؟ ... أهذا هُدى الإنجيل أو تستأثرُ؟

أعيسى إلهٌ أيها العميُ من هوًى ... وأين ثبوت بل حديث يُؤثَرُ؟

ظننتم فأنتم تعبدون ظنونكم ... كشخصٍ مِغَرٍّ عاشق لا يصبرُ

تركتم طريق الحق شُحًّا وخِسَّةً ... وسيعلمَنْ كُلٌّ إذا ما بُعثروا

عسى أن يزيل الله شُحَّ نفوسكم ... ولكنه بَغْرٌ شديدٌ مدمّرُ

ومن كان ذا حِجْر فيدري حقيقةً ... ومن كان محجوبا فيهذي ويهجُرُ

ستغلب يا يَحْمورَ قومٍ محقَّر ... ومِحْضِيرُنا يعدو ولا يتحسّرُ

قد استخمر الشيطان نفسك كلها ... فأنت لغُول النفس عبدٌ مسخّرُ

ألا إن ربي قد رأى ما صنعتَه ... فنفسك سوف تُحَجَّرَنْ وتُحَوَّرُ

أتطفئ نورا قد أُريدَ ظهورُها ... لك البُهرُ في الدارين والنورُ يَبهَرُ

وإني أرى قد بارَ كيدك كله ... ويهتِك ربي كلَّ ما هو تَسْتُرُ

أتترك أعنابا وتنقِف حنظلا ... وهذا وبال أنت فيه متبَّرُ

تَياهيرُ قَفْرٍ في عيونك مَرْبَعٌ ... وأسرَّكم سِقْطُ اللوى وحَبَوْكَرُ

عقيدتكم قد صار للناس ضُحكةً ... ويضحك جمهورٌ عليه ويُنكرُ

رأى الناسُ بالتحقيق ما في بيوتكم ... وإجَّارُ بيتٍ مِن بعيد يظهرُ

ولا يُظهِرَنْ إنجيلكم نهجَ الهدى ... وهداه جَمْجَمَةٌ وقولٌ مُكوَّرُ

ومَن تبعه ما وجد ريح تيقُّنٍ ... ولكن إلى الإلحاد والشكِّ يُدحَرُ

وما فيه إلا ما يُضلّ قلوبكم ... ويهُدُّ ببيت نجاتكم ويدمِّرُ

ومن أين طفل للذي هو أطهرُ ... أَلِلّهِ زوجٌ أيها المتمَذِّرُ؟

ولكننا لا نعرف اللهَ هكذا ... وحيدٌ فريدٌ قادرٌ متكبرُ

وذلك للدين القويم كرامة ... إذا ما تبعتَ هُداه فالله يؤثِرُ

ويَشغِفك الله العزيز محبةً ... ويأخذ قلبَك حُبُّ حِبٍّ ويأطِرُ

فطوبى لمن صافى صراطَ محمد ... وكمثل هذا النور ما بانَ نَيِّرُ

وصلنا إلى المولى بهدي نبينا ... فدَعْ ما يقول الكافر المتنصّرُ

وفي كل أقوامٍ ظلامٌ مدمِّرٌ ... وإن رسول الله بدرٌ منوّرُ

وإن رسول الله مُهْجةُ مُهْجتي ... ومِن ذكره الأحلى كأنّي مُتْمِرُ

فدَعْ كلَّ ملفوظ بقولِ محمد ... وقَلِّدْ رسولَ الله تَنْجُ وتُغفَرُ

وليس طريق الهدي إلا اتّباعَه ... ومَن قال قولا غيره فيُتبَّرُ

ومَن ردَّ مِن قِلِّ الحياء كلامَه ... فقد رُدَّ ملعونا وسوف يُمَدَّرُ

ومن يَرَ تقوًى غيرَ هدي رسولنا ... فذلكم الشيطان يعتُو ويُشْغَرُ

وما نحن إلا حزب ربٍّ غالبٍ ... ألا إن حزب الله يعلو ويُنصَرُ

ووالله إن كتابنا بحرُ الهدى ... وتالله إن نبيّنا مُتبَقِّرُ

ويبقى إلى يوم القيامة دينُه ... له ملّةٌ بيضاءُ لا تتغيرُ

ونؤثِر في الدارَينِ سننَ رسولنا ... وسنّةُ خيرِ الرسل خيرٌ وأزهَرُ

فلما عرفتَ الحق دَعْ ذكرَ باطلٍ ... ولو للصداقة مثلَ بَكْرٍ تُنهَرُ

ألا أيها الثرثار خَفْ قهرَ قاهر ... ويعلم ربي ما تُسِرُّ وتَخْمِرُ

فلا تقْفُ ما لا تعرفَنَّ وُجوهَه ... وثابِرْ على الحق الذي هو أظهرُ

ووالله ما كان ابن مريم خالقا ... فلا تهلكوا بغيًا وتوبوا واحذروا

ولا تعجَبَنْ مِن أنه ليس من أبٍ ... وكمثل هذا الخَلْق في الدُود تنظُرُ

بل الدود أعجبُ خِلقةً من مسيحكم ... ويخلق ربي ما يشاء ويقدرُ

ألا رُبَّ دُود قد ترى في مربعٍ ... تكَوَّنُ في ليل وتنمو وتكثرُ

وليستْ لها أُمٌّ بأرض ولا أبٌ ... ففكِّرْ هداك الله هادٍ أكبرُ

وإن كنتَ لا تَدَعُ الجدال وتُنكرُ ... فبارِزْ لنا إنا إلى الحرب نَعْكِرُ

وإن لنا المولى ولا مولى لكم ... فتنظر أنَّا نغلِبَنّ ونُنصَرُ

ووالله إني أَكسِرَنَّ صليبكم ... ولو مُزِّقتْ ذراتُ جسمي وأُكسَرُ

ووالله يأتي وقتُ فتحي ونصرتي ... ووالله إني فائز ومُعزَّرُ

ووالله يُثنَى في البلاد إمامُنا إمامُ الأنام المصطفى المتخيَّرُ

وما في يديك بغير قولٍ مدلَّس تَكَدُّ وتستقري المحالَ وتَفْجُرُ

وكُتْبُك قَفْرٌ حشْوُها الكفرُ والردى محرَّفةٌ في كل عام تُغيَّرُ

فتلك براهينٌ على سَخْفِ دينكم وقد قلتُ تحقيقا ولو أنت تَبْسُرُ

لقد زيَّن الشيطان أقواله لكم يوسوسكم في كل حين ويمكُرُ

وقد ذكَّر الأخيارُ من قبلُ قومَكم ولأُخرياتِ الناس نحن نذكِّرُ

وكيف يساوي دينُ عيسى لديننا ولا يستوي دخنٌ ونجمٌ أزهَرُ

وقد جاء يوم الله فاليومَ ربُّنا يدقّق أجزاء الصليب ويكْسِرُ

وقلتُ له لا تحسَبِ العبدَ خالقا وكلّ امرئ عن قوله يُستفسَرُ

وقلتُ له لا تستُرِ الحق عامدا سيبدي المهيمنُ كلّ ما كنتَ تَستُرُ

وقلتُ له لما أبى إن شأننا بلاغٌ فبلَّغْنا وإنك مُنذَرُ

وإن كنتَ لم تسمع فزِدْ في تجاسُرٍ لتُسْعِرَ نار الله ثم تُدمَّرُ

فزِدْ في جَراءاتٍ وزِدْ في تقاعُس وزِدْ في عمايات فتفنى وتُبتَرُ

وليس عذاب الله عَذْبا كما ترى سيُحرَق في نار اللظى مَن يفجُرُ

غيور فيأخذ مشركا بذنوبه ... وليس له أحدٌ شفيعا ومَأْزَرُ

رفيعٌ عليٌّ كيف يُدرَك كنهُهُ ... إذا ما ترقَّتْ عينُنا تتحيرُ

أتعصون بغيًا مَن به الخَلْقُ آمنوا ... أتنسون يوما ما به الناس أُنذِروا

وكيف يكون العبد كابْنٍ لربّه ... فسبحان ربِّ العرش عما تصوروا

وقد مات عيسى ليس حيًّا وإننا ... نردّ على من قال حيٌّ ونَحْجُرُ

وأخبرَني ربي بموت مسيحكم ... وكان هو الأولى وأكفى وأجدرُ

وكم من دوابّ الأرض يحيا مدّة ... على ظهرها فَاعْجَبْ لهذا وفكِّروا

وإن جنود الأنبياء وحزبهم ... ألوفٌ فهل ترَيَنَّ كابنك آخَرُ

فإن كان للرحمن ولدٌ كقولكم ... فشجرة نسل الله تنمو وتكثرُ

أبُدِّلَ سنّةُ ربّنا بعد مدّة؟ ... أيمكن في سنن القديم تغيُّرُ؟

وقانون سنن الله في بعث رسله ... مبين فهل أبصرتَ أو لا تُبصرُ؟

وإن لم تر اليوم الهدى فترى غدا ... ظلاما مهيبا فيه تهوي وتُندَرُ

أتخلع جهلا رِبْقةَ العقل والنهى ... لأقوالِ قوم قد أضلّوا ودُمِّروا

أتترك ما جاءت به الرسل من هدى ... ألا تَتْبَعَنْ قوما هُدوا وتبقَّروا

عليكم بسبل الله من قبل ساعةٍ تُريكم لظى النار التي هي تُسعَرُ

عذاب أليم لا انتهاءَ لحرقه وإن ينضَجَنْ جِلدٌ فيُخلَق آخَرُ

ينبِّئك العلام ما كنتَ تُضمِرُ ويبدي لك النورَ الذي اليوم تُنكِرُ

ألا أيها الناس اتقوا الله ربكم وإن عذاب الله أدهى وأكبرُ

ألم يأتكم نُذُرٌ وآياتُ ربكم نرى بَغْيَكم ودموعُنا تتحدرُ

ولكلّ نبإٍ مستقرٌّ ومَظْهَرُ ولكلّ ما يأتيك وقت مقدّرُ

ويَحكُم ربُّ العرش بيني وبينكم وها أنا قبل عذاب ربّي أُخبِرُ

وقوم مضوا من قبل ضالين مِن هوًى فأنتم قِلتم كلَّ ما هُمْ زَوَّروا

أخذتم طريق الشرك والفسق والردى وتَرَّتْ خطاياكم فلم تستغفروا

فأرسلَني ربي إليكم لتهتدوا ولتقبَلوا ما قال ربي وتُغْفَروا

فإن شئتَ ماء الله فاقصِدْ مَناهلي فيُعْطِك مِن عينٍ وعينٍ تُنوَّرُ

وأغلَظُ حجبٍ ما تُراك على الهدى تعالَ على قدم الضلال فتُزهَرُ

وفيك فساد لو علمتَ اجْتنبتَه وذلكم الشيطان يُغوي ويَحصُرُ

ذببتُ عن الدين الحنيفِيْ شكوكَكم وأزعجتُ أصلَ أصولِكم ثم تُنكِرُ

وقلتم: لنا دين بعيد من النهى وهذا فساد ظاهر ليس يُستَرُ

وكلُّ امرئ بالعقل يفهم أمره كما بالعيون يشاهِدَنَّ ويُبصِرُ

وعقلُ الفتى نصف، ونصفٌ حواسُّه وكصَفْقِ أيدٍ منهما العلمُ يَظهَرُ

تصديتَ في نصر الضلال تعمُّدا فبارِزْ لحرب الله إن كنت تقدِرُ

وما أنت إلا عابِد الحرص والهوى تشمِّرُ ذيلَك للحُطام وتهجُرُ

رأيتُ لك الرؤيا وإنك مَيِّتٌ وإنّ كلام الله لا تتغيَّرُ

وعِدَّةُ وعدِ الله عشرٌ وخمسةٌ إذا ما انقضتْ فاعلَمْ بأنك مُحضَرُ

وتعمى وتحضر عند ذي العرش مجرمًا وتُسأل عما كنتَ تهذي وتكفُرُ

وما قلتُ مِن تلقاء نفسي تجاسُرا بل الآن نبّأَني العليم المقدِّرُ

فبلّغتُ تبليغا وآليتُ حِلْفةً على صدقِ ما أظهرتُ فانظُرْ وننظُرُ

فإنْ أكُ صدّيقًا فربّي يعزّني وإن أكُ كذّابًا فسوف أُحَقَّرُ

وأعلم أن مهيمني لا يضيعني وأعلم أن مؤيِّدي سوف يَنصُرُ

فتوقَّدَ السفهاء مِن أهل الهوى وكل امرئ عند التخاصم يُسبَرُ

ذوو فطنةٍ يدرُون بحثي وبحثه وما في السماء فسوف يبدو ويظهَرُ

وإن يُسلِمَنْ يَسلَمْ وإلا فميِّتٌ وهذان منا آيتان ونشكُرُ

ووالله هذا مِن إلهي ومَن يعِشْ إلى أشهر مذكورة فسينظرُ

وتحت رداء الله روحي ومُهْجتي وما يعرفني أحد وربّي يُبصِرُ

ولستُ بربي كاذبا تاركَ الهدى ولستُ بربي كالذي هو يهذَرُ

وهنَّأني ربي بنهجِ محبة على ما تضوَّعَ مِسْكُ فتحي وعنبَرُ

وذلك من بركات روحِ رسولنا نبيٌّ له نور منير وأزهَرُ

رؤوفٌ رحيمٌ آمرٌ مانعٌ مَعًا بشيرٌ نذيرٌ في الكروب مبشِّرُ

له درجات لا شريكَ له بها له فيضُ خيرٍ لا تضاهيه أبحُرُ

تخيَّرَه الرحمن مِن بين خَلقه دُكاءٌ بجلوته وبدرٌ منوّرُ

وكان جلالٌ في عَرانينِ وَبْلِه خَفَى الفأرَ مِن أنفاقهن الممطِرُ

رؤوفٌ رحيمٌ كهفُ أممٍ جميعها شفيعُ الورى سَلَّى إذا ما أُضْجِروا

ألا ما هَرَفْنا في ثناء رسولنا له رتبةٌ فيه المدائحُ تُحصَرُ

وإن أمان الله في سبل هديه فطوبى لشخص يقتفي ما يؤمَرُ

سقى فَيْهَجَ العرفانِ كلَّ مصاحب فبنشوة الصهباء سُرُّوا وأَبْشَروا

وقد راح والمخلوقُ في ظلماته وجهلاته مثل الأوابد ينفِرُ

فأكملَهم قولاً وفعلاً ومِيسمًا وأيقظَهم فاستيقظوا وتطهَّروا

رسولٌ كريمٌ ضعَّف اللهُ شأنه وبدرٌ منيرٌ لا يضاهيه نيِّرُ

وكافَحَ أَمْرَ المسلمين بنفسه وعلَّمهم سننَ الهدى فتبصَّروا

بأُمّته أحفَى من الأب بابنه شفيعٌ كريمٌ مشفِقٌ ومُحذِّرُ

فمن جاءه طوعًا وصدقًا فقد نجا ومَن أعرض عن أحكامه فيُدمَّرُ

ولم يتقدم مثلُه في كماله وأخلاقِه العليا ولا يتأخّرُ

فدَعْ ذكرَ موسى واترُكَنْ ابنَ مريمٍ ودَعِ العصا لما تراءى المفقَّـرُ

له رتبةٌ في الأنبياء رفيعة فطوبى لقوم طاوعوه وخَيَّروا

وعسكرُه في كلّ حرب مبارِزٌ إذا ما التقى الجمعان فانظُرْ وننظُرُ

وجاء بقرآن مجيد مكمَّلٍ منيرٍ فنَوَّرَ عالَمًا وينوِّرُ

كتاب كريم حازَ كلّ فضيلة ويسقي كؤوسَ معارفٍ ويوفِّرُ

وفيه رأينا بيناتٍ من الهدى وفيه وجدنا ما يقي ويبصِّرُ

كعينٍ كَحيلٍ زُيِّنت صفحاته بناظرةٍ مِن عِيْنِ خُلدٍ يَنْظُرُ

طريٌّ طلاوتُه ولم تعفُ نقطةٌ ... لِما صانه اللهُ القدير الموقِّرُ

فيا عجبًا مِن حسنه وجماله ... أرى أنه دُرٌّ ومِسكٌ وعنبرُ

وإن سروري في إدارة كأسه ... فهل في الندامى حاضرٌ مَن يكرِّرُ

وريَّاه قد فاق الحدائق كلها ... نسيم الصبا من شأنه تتحيَّرُ

إذا ما تلا من آية طالبُ الهدى ... يرى نوره يجري كعين ويمطُرُ

وفيه من الله اللطيف عجائبٌ ... أشاهده في كل وقت وأنظرُ

أيعجب مِن هذا سفيهٌ مشرَّدٌ ... وألهاه عن نور ظلام مكدَّرُ

إلى قوله يرنو الحكيم تلذذا ... ويُعرِض عنه الجاهل المتكبرُ

كتاب جليل قد تعالى شأنه ... يدافي رؤوسَ المنكرين ويَكسِرُ

هو السيف في أيدي رجالِ مَواطنٍ ... فلن يَعصِمَ دِرعٌ منه فوجا ومِغفَرُ

كلام يفُلُّ المرهفاتِ بحدّه ... يبشّرنا في كل أمر وينذِرُ

يُدَيَّةُ قومٍ مُنكِرٍ مغلولةٌ ... وهُدَّت هراواهم وسُرُّوا وكُسِّروا

يباهون مِرِّيْحِينَ جهلا ونخوةً ... وسوف تراهم مدبِرين فتُبشِرُ

فدًى لك روحي يا حبيبي وسيدي ... فدًى لك روحي أنت وِردٌ مُنضَّرُ

وما أنت إلا نائب الله في الورى ... وأعطاك ربك هذه ثم كوثَرُ

ويعجز عن تحميد حسنك مؤمنٌ ... فكيف مُحمِّدُك الذي هو يُكفِرُ

يكفّرني شيخ وتتلوه أُمّةٌ ... وما إنْ أراه كعاقل يتدبرُ

يُري ظهره عند النضال كثعلبٍ ... وكالذئب يعوي حين يهذي ويهجُرُ

غبيٌّ عَتِيٌّ أضرمَ الجهلُ غَيْظَه ... كجُلمودِ صخرٍ جهلُه لا يُغيَّرُ

وكفّرني بالحقد مِن غير مرّة ... فقلتُ لك الويلات إنك أكفَرُ

ويسعى لإيذائي ويسعى بزوره ... عليّ حريص كالعدا لو يقدرُ

عجبتُ له ما يتقي اللهَ ذرةً ... أَشِقْوةُ هذا المرء أمرٌ مقدَّرُ؟

فطورًا يردّ البينات وتارةً ... يحرّف قول المصطفى ويغيِّرُ

قصدتُ هداه ترحُّمًا فتمايَلا ... على الرجس والبلوى فكيف أطَهِّرُ

وقال يمين الله ما لك ناصر ... فآليتُ إن الله مَعْنا فنظفَرُ

ولما أريدُ علاجه مِن نصيحة ... يسبُّ ويُبدي كلَّ ما كان يُضمِرُ

وجاهدتُ للهِ الكريمِ لهديه ... فما قلَّ مِن أوهامه بل تكثُرُ

عجبتُ لختم الله كيف أضلَّه ... يردّ النصوصَ كأنه لا يُبصِرُ

خيالاته كالنائمين ضعيفة ... نَؤُومٌ فيُبغِضُ كلَّ ما هو يُسهِرُ

وإنا نسهِّده ودادًا وشفقةً ... فيهجُونِ مِن جهل ولا يَتَخَفَّرُ

له كُتْبٌ السبُّ والشتمُ حَشْوُها ... شريرٌ فيستقري الشرور ويفخَرُ

يغوص كدلوٍ عند خوض فيرجعَنْ ... بجَمْإٍ وما يسقيه ماءً تفكُّرُ

بعيد من التقوى فتسمع أنه ... كباقورة الأضحى بِعيدٍ يُنحَرُ

لقد زيّن الشيطان أقواله له ... يوسوسه وقتا ووقتا يكوِّرُ

وأكفرَني بخلاً وجهلاً ودَنْأَةً ... ووافقَه خَلقٌ ضرير مُدَعْثَرُ

يقولون إنا قادرون على الأذى ... فقلنا اخسؤوا إن المهيمن أقدَرُ

فيا علماء السوء ما العذرُ في غد؟ ... أيُلْعن مثلي مسلمٌ ويكفَّرُ؟

وما غيظكم إلا لعيسى واسمه ... أيدعى بهذا الاسم شخص محقَّرُ

وما تعلمون شؤون ربي وفضله ... ويعلم ربي كل نفس وينظُرُ

أنعمة ربي في يديكم محاطة؟ ... ويفعل ربي ما يشاء ويُظهِرُ

أنحن نفرّ من النبي وبابه ... خَفِ اللهَ يا صيدَ الردى كيف تجسُرُ

أنترك قرآنا كريما ودُررَه ... فما لك لا تدري صلاحا وتَفجُرُ

أاخترتَ رجسا بعد خمسين حجّة؟ وقد كنتَ تشهد أن أحمَدَ أطهرُ

وتعلم أني حِذْرَيانٌ ومتَّقٍ وتعلَم زَأْرِ وبعدهُ تَتنمَّرُ

تبصَّرْ خصيمي هل ترى من دلائلٍ على ما تقول وفكِّرَنْ كيف تَكفُرُ

أنحن تركنا قبلةَ الله شقوةً؟ أنَنبِذُ صحفَ الله كفرًا ونهجُرُ؟

أنرغب عن دين النبي المصطفى؟ ودينًا مخالفَ دينه نتخيَّرُ

سيُخزي المهيمن كاذبا تاركَ الهدى كِلانا أمام الله واللهُ ينظُرُ

"وإني أنا الرحمن ناصرُ حزبه" ومَن كان من حزبي فيُعلى ويُنصَرُ

وما كان أن تُخفَى الحقائقُ دائما وما يكتم الإنسان فالدهر يُظهِرُ

وليس خفاءٌ مغلَقٌ في ديننا وما جاء مِن هدي مبين فنؤثِرُ

سيُكشَف سرُّ صدورنا وصدوركم بيوم يقود إلى المليك ويَحْشُرُ

فمن كان يسعى اليوم في الدين مفسدا فيُحرَق في يومٍ لظاه تُسعَّرُ

وإنا على نور وأنتم على اللظى وما يستوي عُميٌ وقومٌ يُبصِّرُ

ومن كان محجوبا فيأتي مُوَسْوِسٌ فيَكُبّه في هوّة ويدمِّرُ

• ورد تحت هذا الشطر: "هذا إلهام من الله تعالى." (الناشر)

وما يصطفي اللهُ العليمُ مزوّرًا ... وما يجتبي الفُسّاقَ ربٌّ أطهَرُ

فذَرْني وخلّاقي ولستَ مصيطرا ... عليّ ولا حَكَمٌ وقاضٍ فتأمُرُ

وآثرَني ربي وأخزاك خالقي ... فقد ضاع يا مسكين ما كنتَ تَبذُرُ

أليست تقاة الله شرطا لمؤمن ... فما لك يومَ الأخذ لا تتذكرُ

وعدوتَ حتى قلتَ: لستُ بآئب ... وإن الهدى بعد القِلَى مُتوعِّرُ

أتُفتي بما لم يُنـزل الله مِن هدى؟ ... وتُكفِر مَن ألقى السلام وتَجسُرُ؟

ووالله بل تالله لو كنتَ مخلصا ... أريتُك آياتٍ ولكن تُزوِّرُ

ولو قبل إكفاري سألتَ أمانة ... لعمري هُدِيتَ وصرتَ شيخا يُبصِرُ

ولكن ظننتَ ظنونَ سوءٍ بعجلةٍ ... كغُولٍ هوًى والغولُ لا يتطهَّرُ

هل العلم شيء غير تعليم ربنا ... وأيّ حديث بعده نتخيرُ

كتابٌ كريمٌ أُحكمتْ آياته ... وحياته يحيي القلوبَ ويُزهِرُ

يدُعُّ الشقيَّ فلا يمسُّ نكاته ... ويروي التقيَّ هدًى فينمو ويثمرُ

ومتَّعني مِن فيضه لطفُ خالقي ... فإني رضيعُ كتابِه ومُخَفَّرُ

كريمٌ فيؤتي من يشاء علومَه ... قديرٌ فكيف تكذبَنَّ وتَهكِرُ

وإني نظمتُ قصيدتي من فضله ... لتعلم فضلُ الله كيف يُخيِّرُ

تعال بميدان النضال شجاعةً ... ليظهَرَ علمك في الجدال وتُسبَرُ

تريدون ذلتنا ونحن هوائكم ... فيُكرم ربي من يشاء وينصُرُ

أتطلب مني آية الخزي والردى ... ويأتيك أمرُ الله فَجْأً فتُبْتَرُ

وحمّدتَني من قبلُ ثم ذممتَني ... فقد لاح أنك خَيْتَعُورٌ مزوِّرُ

وإني أنا الخطَّار إن كنتَ طاعنا ... رماحي مثقّفة وسيفي مُذَكَّرُ

وإنا جَهَرْنا بِثْرَ دينِ محمد ... وأنت تسبّ هوًى وفي السب تجهَرُ

متى نَدنُ منك ترحمًا تتباعدُ ... ونريد حل العقد رُحْمًا فتَحْتَرُ

وسيلُك صعبٌ لكن أنت غثاؤه ... وغيثك حِمْرٌ لكن أنت تُدَعْثَرُ

وما إن أرى فيك التخوفَ والتقى ... وإن الفتى يخشى إذا ما يُذْعَرُ

ومن كذّب الصدّيق هُتِّكَ سرُّه ... ومن أكثر التكفير يوما سيُكفَرُ

وإن تضربَنَّ على الصَّلاة زجاجةً ... فلا الصخرُ بل إن الزجاجة تُكسَرُ

فهل في أناس مُكفِرين مدبِّرٌ ... يدبِّر في قولي وفي الكتب ينظُرُ

ووالله إني آيسٌ مِن صلاحهم ... وما إن أرى شخصا يكفّ ويحذَرُ

وقلتُ لشيخ قد تقدّمَ ذكرُه إلامَ تكفّرنا وتهجو وتصْعَرُ

تعال نباهِلْ في مقامٍ معيّن ليُهلَك من هو كاذب ومزوِّرُ

حلفتُ يمينا مِن لِعانٍ مؤكّد فإني بميدان اللعان سأحضرُ

فإذا أتى بعد الترصد يومنا فقمتُ ولم أكسل وما كنت أقصُرُ

خرجنا وخَلقٌ كان يسعى وراءنا لينظر كيف يباهلنْ ويكفِّرُ

فجاء ولكن لم يباهل مخافةً وأعرضَ حتى لام من هو يُبصِرُ

ولم يتمالك أن يباهل كالفَتَى وظل يُرينا ظهرَ جُبنٍ ويُدبِرُ

وجاشت إليه النفس خوفا وخشية وقد خفتُ أن يُغشى عليه ويُخطَرُ

ووجدتُه بحرًا ومُوجِسَ خيفةٍ كأن حسامي يهجُمَنْ ويبتِّرُ

فقلتُ له لما أبى إن حجّتي لقد تمّ واللهُ العليم سيأمُرُ

وإن شئتَ سَلْ مَن كان فينا حاضرا وما قلتُ إلا ما هو المتقرِّرُ

وباهلَني مِن غَزْنَوِيّين مُكفِرٌ وقوفا لدى شجرات أرض يَشجُرُ

فقمتُ بصحبي للدعاء مباهلا وكان معي ربي يراني وينظرُ

فصَعَّد صرخ الصادقين إلى السما لِما أخذتْهم رقّةٌ وتأثُّرُ

فأعجبَ خلقًا جيشُهم وبكاؤهم فبكوا بِمَبْكاهم وقام المحشرُ

وظلّ المباهل يقذِفَنَّ مكفِّرًا فيا عجبًا مِن دينهم كيف كفّروا

وما الكفر إلا ما يسمّيه ربُّنا فذَرْهم يسبّوا كيف شاءوا ويُكفِروا

وإنا توكّلْنا على الله ربّنا وقد شَدَّ أَزْرَ العبد ربٌّ مبشِّرُ

وآخر دعوانا أن الحمد كله لربٍّ يرى حالي وقالي وينصرُ